

مَسْأَلَةٌ
فِي الْأَكَاكِبِ فِي الْعَبْدِ ذِمَّتُهُ
مَا هُوَ خَيْرٌ وَجُودٌ مَجْمُولٌ فِي نَفْسِهِ

لشَّيْخِ الْإِسْلَامِ تَقِيُّ الدِّينِ بْنِ تَيْمِيَّةَ

مُحَقِّقٌ

الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ رِشَادُ سَالِمٍ
الطَّبْعَةُ الْبَيْتَانِيَّةُ لِطَبْعَةِ الْأَسَدِ الْكَلْبِيِّ
بِمَدِينَةِ الْمَدِينَةِ الْمُحَرَّمَةِ، الرَّابِعَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أحمد الله تبارك وتعالى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد ، فهذه رسالة لم يسبق نشرها لشيخ الإسلام « ابن تيمية » رحمه الله ، وهي واحدة من أربع رسائل مخطوطة في مكتبة المكتب الهندي بلندن تحت رقم : دلهى عرقى ١٨٥٧ . وأولى هذه الرسائل رسالة بعنوان « مسألة فيمن يعتقد أن الكواكب لها تأثير في الوجود » وتشغل الصفحات من ظ ١٠٧ إلى ص ١١٦ . وقد سبق نشر هذه الرسالة ضمن الجزء الأول من مجموع الفتاوى الكبرى (ص ٣٢٣ - ٣٢٦) ، ط . فرج الله الكردي ، القاهرة ١٣٢٦ ، (وأعيد طبعها في مجموع الفتاوى بالرياض) .

وأما الرسالة الثالثة فتقع في الصفحات : ظ ١٢١ - ١٢٦ وتبدأ كإيلي :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .. أحمد بن تيمية إلى المولى السيد السلطان الملك المؤيد أبيه الله ... » وهي رسالة لم تنشر بعد ، ونص في أولها أنها لابن تيمية .

والرسالة الرابعة هي : مسألة في قرب العبد إلى الرب وقرب الرب إلى العبد ، وسبق نشرها ضمن مجموع فتاوى الرياض (ج ٥ ص ٢٢٦ - ٢٤٦) وتشغل هنا صفحات ١٢٦ - ١٣٧ .
وجميع هذه الرسائل مع الرسالة الثانية التي أحققها وأنشرها هنا بخط واحد وبنفس عدد السطور والكلمات .

أما رسالتنا فهي بعنوان : « فصل فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه » وتستغرق الصفحات ١١٧ - ١٢١ من هذه المجموعة .

وصف المخطوطة :

كتبت هذه الرسالة بخط نسخ حديث منقوطة ، ومسطرتها ١٧ سطرًا في كل سطر حوالي ١١ كلمة ، ورقمت الصفحات في أعلاها إلى جهة اليسار بأرقام عربية (الأرقام في وجه الصفحات وليست في ظهورها) ورقمت المكتبة الصفحات بأرقام أوربية .

وفي أعلى الصفحة الأولى من الرسالة كتبت : « مسألة فيما إذا كان العبد محبة » وفي وسط الصفحة كتب جزء من البسملة هكذا : بسم الله الرحمن ولم تظهر بقية البسملة وفي أسفل الصفحة ختم مكتبة الحكومة الهندية هكذا :

The Government of India وفي وسط الختم كتب Delhi Mss. أى مخطوطات دلهي . وظهر رقم الصفحة في أعلاها إلى اليسار وهو : ١١٧ .

وتبدأ الرسالة في ظ ١١٧ . وأولها : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، وفي السطر الثاني : « فصل : فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق » وبعد هذا حروف من كلمة « ومحمود » لم تظهر منها الدال ولم يظهر حرف الجر « في » بعدها .

وأما الكلمات الأخيرة في آخر صفحة من الرسالة وهي ص ١٢١ فهي : « والشقى من لم يتبع الدين ويعمل العمل الذى جاءت به الشريعة ، فهذا هذا ، والله أعلم .

ولم ينص في هذه الرسالة على أنها لابن تيمية ولكن وجودها بين ثلاث رسائل أخرى كلها لابن تيمية ، وكونها بنفس الحظ وبنفس الهيئة ، فضلا عن أسلوبها وموضوعها ، كل هذا يجعلنى أكاد أجزم بكونها لشيخ الإسلام « ابن تيمية » رحمه الله .

وتلى رسائل ابن تيمية رسالة للغزالي كتبت بخط مختلف وهي رسالة المعارف العقلية للغزالي ، وضمت في مجلد واحد إلى رسائل ابن تيمية السابقة .

ولم ينص على اسم ناسخ هذه الرسائل ، ولكن ذكر في الرسالة الأولى أنها : « ملك الفقير أحمد الياسطى بن عيد الياسط ثم ملكه عبد الرحمن أحمد خادم الإمامين الأعظمين » .
 ولعل موضوع هذه الرسالة الصغيرة هو أجمل موضوع وأقربه إلى المناسبة التي ضمت هذه المجموعة من الأبحاث والمقالات ، أعني مناسبة تكريم أخي وأستاذي الأستاذ محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين ، مد الله تعالى في عمره ونفع بعلمه المسلمين .. اللهم آمين .

محمد رشاد سالم

فيما اذا كان
العيد محمد

سرايا الرحمة



اسم الله الرحمن الرحيم

قصص
 انما اذا كان في العبد محبة ما هو فيه وجوب
 نفسه هو يفعل ما يريد المحمدا لله والحمد لله من السر انما
 يجب الاجسام التي في الجاهات بحسب العرف عن اجسامها في حجبها
 وادراك الحقائق بحسب الصدق والوفاء بالحمد الى الامانة وحسن الرضا
 في انفس الذين في الجاهات خلقوا في انفسهم السامية في وقت القس
 العلية والعلية في انفسهم العلم يطلبونه بحسب والحمد في الامور
 المصنوعة احدها حجبنا طلب العلم والوفاء بحسب الله تعالى في انفسهم
 والمراد حجبنا من فعلته والحمد في انفسهم في الله علم فيها
 محبة المعرفة والعلم والوفاء بحسبها في انفسهم في الله علم فيها
 والوفاء بحسبها خلقها بحسب الاجسام والرحمة المصنوعة في انفسهم
 الامور لا يتغير بها الى اجسامها في يطلب مدح احد ولا خوف في ربه
 بالذم انما انما في انفسهم في انفسهم في انفسهم في انفسهم
 وسرور انما في انفسهم في انفسهم في انفسهم في انفسهم
 في انفسهم في انفسهم في انفسهم في انفسهم في انفسهم
 في انفسهم في انفسهم في انفسهم في انفسهم في انفسهم

واما ان يثبت ان ثوبه عقاب فان ثوبه انما هو باقية النفوس فتع
 به والعقاب انما هو باقية النفوس فتع بدية واما ان يثبت
 ان جسم من كل جسم من الجنه بعضه هو اسما وان يوجد في الدنيا له
 مواجيد وخرق ورجس له في التهي الوعد الوعد وان الاله والناس
 الوعد الوعد موت في المعطه والربنا عوز على الاخره السعي
 في المعطه الطبعه والطبعه مبداء عوز على الايام
 في الشرح والعليه والعبدية في الدنيا الذي يعلم فيكون
 انه الصاح في الاخره التسوية بينه الذي يعمل العمل الذي
 الشرح في هذا وهذا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

/ بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

فبما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود [في]^(١) نفسه ، فهو يفعله لما فيه من المحبة له ، لا لله ، ولا لغيره من الشركاء ، مثل أن^(٢) يحب الإحسان إلى ذوى الحاجات ، ويحب العقو عن أهل الجناهات ، ويحب العلم والمعرفة^(٣) وإدراك الحقائق ، ويحب الصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصلوة الرحم ، فإن هذا كثير غالب في الخلق في جاهليتهم وإسلامهم ، في قوتى النفس العلمية والعملية ، فإن أكثر طلاب العلم يطلبونه محبة ، ولهذا قال أبو داود للإمام أحمد بن حنبل : طلبت هذا العلم - أو قال - : جمعه لله ؟ ، فقال : لله عزيز ، ولكن حُبب إلى أمر فقعلته .

وهذا حال أكثر النفوس ، فإن الله خلق فيها محبة للمعرفة والعلم وإدراك الحقائق ، وقد يخلق فيها محبة للصدق والعدل والوفاء بالعهد ، ويخلق فيها محبة للإحسان والرحمة للناس ، فهو يفعل هذه الأمور : لا يتقرب بها إلى أحد من الخلق ، ولا يطلب مدح أحد ولا خوفاً من ذمّه ، بل لأن هذه الإدراكات والحركات يتنعم بها الحيّ ويلتذّب بها ، ويحمد بها فرحاً وسروراً ، كما يلتذّب بمجرد سماع الأصوات الحسنة ، وبمجرد رؤية ، الأشياء البهجة ، وبمجرد الرائحة الطيبة .

(١) أن : مطبوعة في الأصل .

(٢) والعرة : مطبوعة في الأصل .

(٣) في الأصل طمست الحروف الأخرى من السطر

بحيث تقرأ : بحق ومحمود ، ولعل الصواب ماثلته .

أكثر
يطلبون
لهذا

وكذلك يلتذ ويقرح ويتنعم بمعرفة نفسه للأشياء التي تُعرف بالباطن ، ويلتذ أيضا بشهود باطنه وإحساسه ، كما يلتذ بشهود ظاهره وإحساسه ، وكذلك يلتذ بما تعقله نفسه من الأمور الكلية / التي تعقلها ، وكذلك في أفعاله وحركاته ، كما يلتذ بأكله وشربه ونكاحه ، وكما يلتذ برحمته وإحسانه إلى أهل الحاجات من أقاربه وغير أقاربه ، ويلتذ بالجود والإعطاء ، ويلتذ بالعفو عن المسيء إليه وترك معاقبة المسيء ، كما يُذكر عن المأمون أنه قال : لقد حُيِّبَ إليّ العفو حتى إنى أخاف ألا أثناب عليه . فهذه مكارم الأخلاق التي تكون في بنى آدم ، كما كانت تكون في أهل الياضية ، فهذا الحسن وهذه الحركة الإرادية يتنعم به الحى ويتنفع به ويلتذ في الحال .

ولأيقال : إن فعل ذلك لغير غرض ولا لجلب منفعه أو دفع مضرة ، بل فيه جلب منفعه ودفع مضرة في نفسه ، كما في نفس الأكل والشارب يستجلب به منفعة الشبع ، ويستدفع به مضرة الجوع ، فهكذا سائر هذه الأمور يدفع بها عن نفسه مضرات ، ويستجلب لها بها لذات .

ولهذا يُقال : اشتقت نفسه ، وشفت صدرى ، فيجد شفاءً في صدره ، كما يجد شفاءً في جسمه بزوال المرض وحصول العافية .

وهذه أمور محسوسة بالباطن والظاهر ، وهى التي أدرك حسنها من قال : إن العقل يُقْبِح ويُحسِّن ، ومن قال : إن العلم بحسنها لصفة قائمة بها معقولة : إما بالبدئية وإما بالنظر ، أو معلومة بالشرع .

ولقد صدق في قوله : إن حسنها وقبحها لمعنى قام بها ، وصدق أن ذلك قد يُدْرِك بالعقل ، وقد يدرك بالشرع .

وقد غلط الأول في نفيه ^(١١) أن يكون ذلك لمفاهيه من جلب منفعة إلى العبد ودفع مضرة راجعة إلى نفسه ، وإن كان ذلك في الدار الآخرة أيضا ، فإن / ذلك أمر محسوس . والثاني ^(١٢) غلط حيث اعتقد أن ذلك ليس لصفة في الفعل ، وأن الحسّن والقبح ليس إلا مجرد

^(١١) في الأصل : في نفسه ، ولعل الصواب ما أثبتته . وابن

لحمية يعقب هنا على الآراء المختلفة في هذا الموضوع ، ولعله

يلتذ بالأول الكلام الذي سبق ذكره وفيه : لا يقال : إن فعل

^(١٢) الرأى الثالث الذى يشير إليه ابن تيمية هو رأى

الأشاعرة في مسألة الحسن والقبح .

إضافة الفعل إلى الأمر والنهي ، فأصاب بعض الإصابة في كونه جعل ذلك من الملاءمة للطبع والمنافرة عنه ، ومن باب كمال المتصف بذلك ونقصه ، ولكن غلط في ظنه أن الحُسن والقبح العقليين صادرتين عن ذلك ، ولم يغلطا كل الغلط ، فإن الحُسن والقبح : الذي يُدرك بالحس والعقل وبالشرع ، وبالبصر والنظر والخبر ، بالمشهور الظاهر وبالباطن ، وبالمعقول القياسي وبالأمر الشرعي ، هو في الأصل من جنس واحد ، فإن كلاً يُعَلَّمُ بذلك ، يثبت به مالا يُعَلَّمُ بالآخر ويثبت به .

وهذه الطرق الثلاثة : السمع ، والبصر ، والعقل ، هي طرق العلم :

طرق العلم الثلاثة

١ - البصر - وهو المشهود الباطن والظاهر - يدرك ما في هذه الحركات والإزادات من الملاءمة والمنافرة ، والمنفعة والمضرة العاجلة .

٢ - السمع - وهو وحى الله وتنزيله - يحجر بما يقصّر الشهود عن إدراكه من منفعة ذلك ومضرتة في الدار الآخرة . الحكاية

فتيام الدين بالفطرة وتقديرها ، لا بتحويلها وتغييرها ، فإن كل مولود يولد على الفطرة ، والله خلق عباده خُنفاء فاجتالتهم الشياطين وحُرِّمت عليهم ما أحل الله لهم ، وأمرتهم أن يشركوا به ما لم ينزل به سلطانا . هكذا أخبرنا الله فيما روى عنه رسوله في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم ^(١) .

فهم بقضيتهم يحبون الله وحده ويحبون تناول ما يحتاجون إليه من الطيبات ، والمحبة تتبع الشهود والإحساس ، فهذا الذي في فطرتهم من الحس والحركة إلى عبادة خالقهم مما يعينهم / عليها من طيبات الرزق ، هو وجه الحُسن الثابت بالأفعال الحسنة : مأمورها ومباجها ، فإن ذلك كله حسن ، لما فيه من هذه الملاءمة المناسبة والمحبة التي فطروا عليها ، فما كان من ذلك مشهودا في عالم الشهادة أدرك بالشهود والإحساس ، وما كان غيباً أدرك بالسمع الذي جاء به المرسلون .

خطيته : ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم ... وإلى خلقت عبادة خنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم ، وحُرِّمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا في ما لم أنزل به سلطانا والحديث مع اختلاف في اللفظ في المسند =

^(١) الحديث عن عياض بن حماد الجعفي رضي الله عنه في : مسلم ٤ / ٢١٩٧ - ٢١٩٨ (كتاب الجنة وصفة نعمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) وأوله : ... أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في

٣ - العقل
حاشية

والقلب يعقل هذا المشهود وهذا المسموع ، فلا بد من أن يعقل ما أمر الله به وأخبر ، كما لا بد أن يعقل ما شهدنا وحسنا ، فيعقل الشهادة والغيب ، بمعنى ضبط العلم بمرئيات ذلك على وجه كلي ثابت في النفس .

لكن زعم أولئك أن العقل يُدرك من حسن الفعل وقيحه ما فيه ملاءمة باطل^(١) ، كما أن زعم أولئك أن الشرع يأتي بحسن أو قبح لا ملاءمة فيه باطل ، فأولئك إنما نقوا ذلك لأنهم أرادوا أن يشتوا للرب من جنس ما عقلوه في البشر ، وأنكروا الملاءمة في حقه والمنافرة . وهؤلاء أرادوا أن يشتوا شرعاً محضاً مبنياً على محض المشيئة ليس فيه ملاءمة ولا منافرة ، وكلا الفريقين أنكر حقيقة محبة الله ورضاه للأفعال الحسنة ، وبغضه للمسيئين بها ، وهذا هو المعنى الذي يُعبّرون عنه في حقا : الملاءمة والمنافرة ، وإنما أتوا من جهة ما فيهم من نوع تحميم^(٢) .

ولهذا أنكر أولئك - مع إنكارهم هذه الصفات - أنكروا القدر ، وهو عموم قدرته ومشيئته وخلقه ، وأنكر هؤلاء ماق الشرعية من المناسبات والمخاسن التي انطوى عليها الأمر والنهي ، وأنكروا أيضاً ماق خلقه ومشيئته من الحكمة والرحمة .

والتعديل ... وأما الطرف الآخر ... فهو قول من يقول : إن الأفعال لم تشمل على صفات من أحكام ، ولا على صفات هي على للأحكام ، بل التقدير أمر بأحد الفعلين دون الآخر لغرض الإزادة ، لا لحكمة ولا لرعاية مصلحة في الخلق والأمر . ويقولون : إنه يجوز أن يأمر الله بالشرك بالله ، وينهى عن عبادته وحده ، ويجوز أن يأمر بالظلم والفساد ، وينهى عن البر والتقوى ، والأحكام التي توصف بها الأحكام مجرد نسبة وإضافة فقط ، وليس المعروف في نفسه معروفاً عندهم ولا المنكر في نفسه منكرًا عندهم ... ليس في نفس الأمر عندهم لأمر معروف ولا منكر ولا طيب ولا خبيث ، إلا أن يعبر عن ذلك بما يلائم الطباع ، وذلك لا يقتضى عندهم كون الرب يجب المعروف وبغض المنكر ... وهذا خلاف المنصوص والمعقول ، وقد قال تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وندعهم تعلق الإرسال بالرسول كتعلق الخطاب بالأفعال ، لا يستلزم ثبوت صفة لا قبل التعلق بالأعده =

- (ط . الخليلي) ١٦٢/٤ .

^(١) يقصد ابن تيمية بذلك المنزلة وأمتانهم ممن يقولون بأن العقل وحده - بدون الشرع - كاف في إدراك الحسن والقبح ، وأن حكم العقل بغض عن الشرع ، أو أن الشرع تابع في حكمه لحكم العقل .

^(٢) يقول ابن تيمية في فصل في مسألة تحسين العقل وتقيحه (مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٨ : ٤٣١ - ٤٣٦ ، طبع الرياض ١٣٨١) : « فالتاس في مسألة التحسين والتشبيح على ثلاثة أقوال : طرفان ووسط . الطرف الواحد : قول من يقول بالحسن والقبح ويجعل ذلك صفات ذاتية للفعل لازمة له ، ولا يجعل الشرع إلا كاشفاً عن تلك الصفات ، لانسبا الشيء من الصفات ، فهذا قول المعتزلة ، وهو ضعيف . وإذا ضم إلى ذلك قياس الرب على خلقه ، فقبل ما حسن من المخلوق حسن من الخالق ، وما قبح من المخلوق قبح من الخالق ترتب على ذلك أقوال القدرية الباطلة ، وما ذكره في التجويد

فهؤلاء أثبتوا القدرة والمشيفة والخلق ، ولكن قصرُوا في إثبات الرحمة والحكمة والعدل ، وأولئك / أثبتوا شيئا من الحكمة والعدل ، ولكن قصرُوا في ذلك أيضاً ، مع تقصيرهم في القدرة والمشيفة والخلق ، وإن كان كل من الفريقين لا ينكر أمر الشرع ونبيه .

لكن غلاة أولئك دفعوا بعقولهم كثيرا مما جاء به الشرع من الأمر والنهي ، وقالوا : هذا يخالف الحكمة المعقولة ، كما فعل إبليس وذووه . وغلاة هؤلاء دفعوا أيضا الأمر والنهي وقالوا : لو شاء الرحمن ماعيدناهم ، كما قال المشركون . وإبليس أغلظ كفرا ، ولهذا كانت بدعة أولئك أقرب إلى السنة والجماعة .

وهذه الأمور التي تحبها النفوس والقلوب بفطرتها هي المعروف ، والتي تبغضها هي المنكر ، فإن المعرفة هي إحساس مع حجة ، والإنكار إحساس مع بغضة . فأما ما لم يُحَسَّ بحال فلا " يُعرف ولا ينكر ، ومالا يُحب ولا يبغض بحال فلا يُعرف ولا ينكر . وإذا حَدَّثَ الرجل بمحدث فأنكره لجهله

= والفقهاء وجهور المسلمين يقولون : الله حرم الحرامات فحرمت ، وأوجب الواجبات فوجبت ، فنعنا شيئا : إيجاب وتحريم ، وذلك كلام الله وخطابه . والثاني : وجوب وحرمة ، وذلك صفة للفعل . والله تعالى حكيم : علم بما تتضمنه الأحكام من المصالح ، فأمر ونهى لعلمه بما في الأمر والنهي والأمر والمختلور من مصالح العباد ومفاسدهم ، أو هو أثبت حكم الفعل ، وأما صفته فقد تكون ثابتة بدون الخطاب /

وقد ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع :

أولها : أن يكون الفعل مشتقاً على مصلحة أو مفسدة ، ولو لم يرد الشرع بذلك ، كما يعلم أن العدل مشتق على مصلحة العالم ، والظلم يشتق على فسادهم ، فهذا النوع هو حسن وقيح ، وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك ، لأنه أثبت للفعل صفة لم تكن . لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقباً في الآخرة ، إذا لم يرد شرع بذلك . وهذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتفويض قراهم قالوا : إن العباد يعاقبون على أفعالهم السيئة ، ولو لم يتبع إليهم رسولا ،

وهذا خلاف النص .
٣ النوع الثالث : أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسناً ، وإذا نهى عن شيء صار قبيحاً ، واكتسب الفعل صفة الحسن والقيح بالخطاب الشارع .

٤ والنوع الثالث : أن يأمر الشارع بشيء ليحسن العبد : هل يطعمه أم يعصيه ؟ ولأنه يكون المراد فعل المأمور به ، كما أمر إبراهيم بدمج ابنه ، فلما أسلمنا والله للحين حصل المتصود فقدها بالذبح ... فالحكمة منشؤها من نفس الأمر ، لا من نفس المأمور به .

وهذا النوع والذي قبله لم يفهمه المعتزلة ، وزعمت أن الحسن والقيح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك ، بدون أمر الشارع .

والأشعرية ادعوا أن جميع الشريعة من قسم الامتناع ، وأن الأفعال ليست لها صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع .
وأما الحكماء والجمهور فاثبتوا الأقسام الثلاثة وهو الصور .

(١) في الأصل : ولا ، وهو تحريف .

فإنه أنكّر مالا أحبه سمعُه ، وكذلك الحديث المنكر عند أهل الحديث هو مالم يسمعه فيحيوه لصحته وصدقته ، فإذا سمعوه بذلك أنكروه بعد إحساسه .

والمقصود هنا أن محبة هذه الأمور الحسنة ليس مذموماً بل محموداً ، ومن فعل هذه الأمور لأجل هذه المحبة لم يكن مذموماً ولا معاقباً ، ولا يُقال إن هذا عمله لغير الله ، فيكون بمنزلة المرأى والمشرك ، فذاك هو الشرك المذموم . وأما من فعلها مجرد المحبة الفطرية فليس بمشرك ولا هو أيضاً متقرباً بها إلى الله ، حتى يستحق عليها ثواب من عمل الله وعبده ، بل قد يشبه عليها / بأنواع من الثواب : إما بزيادة فيها في أمثالها ، فيتشتم بذلك في الدنيا ، ولهذا كان الكافر يُجزى على حسناته في الدنيا وإن لم يتقرب بها إلى الله ، ولو كان فَعُلَ كُلَّ حَسَنٍ إِذَا لم يُفعل الله مذموماً يستحق به صاحبه العقاب لما أُطعم الكافر بحسناته في الدنيا إذا كانت تكون سيئات لا حسنات ، وإذا كان قد يتنعم بها في الدنيا ويُطعم بها في الدنيا فقد يكون من قوائد هذه الحسنات وتيجتها وثوابها في الدنيا أن يهديه الله إلى أن يتقرب بها إليه ، فيكون له عليها أعظم الثواب في الآخرة .

وهذا معنى قول بعض السلف : طلبنا العلم لغير الله فأبى ^(١) أن يكون إلا لله . وقول الآخر لما قيل له : إنهم يطلبون الحديث بغير نية ، فقال : طلبهم له نية ، يعنى نفس طلبه حسن ينفعهم . وهذا قيل في العلم لخصوصيته ، لأن العلم هو الدليل المرشد ، فإذا طلبه بالهبة وحصله عرفه الإخلاص لله والعمل له .

ولهذا قال من قال : هو من النظر الأول الذى هو مقدمة العرفان ، فإن القصد والنية مشروط بمعرفة المقصود المشوى به ، فإذا لم يعرفه بعدد كيف يتقرب إليه ؟ فإذا نظر بحجة أو غيرها فعمل المعبود المقصود صح حيثئذ أن يعبده ويقصده . وكذلك الإخلاص كيف يخلص من لم يعرف الإخلاص ؟ فلو كان طلب علم الإخلاص لا يكون إلا بالإخلاص لرب الدُّور ، فإن العلم هو قبل القصد والإرادة من إخلاص وغيره ، ولا تقع الإرادة والقصد حتى يحصل العلم .

وعلى هذا فمأذكرة الإمام أحمد عن نفسه / هو حسن ، وهو حال النفوس المحمودة المستقيم

^(١) في الأصل : فأبى .

حالتها . ومن هذا قول خديجة رضى الله عنها للنبي ﷺ : إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتقري الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نواب الحق . فهذه الأمور كان يفعلها محبة لها تُخلق على ذلك وفطر عليه ، فعلمت أن النفوس المطبوعة على محبة الأمور المحمودة وفعلها لا يوقعها الله فيما يصاد ذلك من الأمور المذمومة ، لما قال لها : قد خشيتُ على نفسي . قالت : كلا والله لا ينزلك الله أيداً .. الحديث وهو في الصحيحين^(١) .

وقد تنازع الناس في النبوة : هل هي مجرد إنباء الله لعبده ، أو هي راجعة إلى صفات كمال فيه ؟ كما تنازعوا في النبوة : هل هي مجرد تعلق خطاب الشارع ، أو هي راجعة إلى صفات يتميز بها ، ولابد من خطاب إلهي أو إنباء ؟^(٢) ولهذا كانت النبوة أجزاءً ، كما قال النبي ﷺ : الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة - رواه أهل السنن^(٣) ، فهذا في العمل . وقال في العلم : الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة^(٤) . وقال : ثلاث من أخلاق المرسلين^(٥) .

سعد الخديري رضى الله عنهم في :
فتح الباري ١٢ / ٣٧٣ رقم ٦٩٨٨ ، ٦٩٨٩ (كتاب التعبير ، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة ...) ، ١٢ / ٤٠٤ رقم ٧١٧ (كتاب التعبير ، باب القيد في المنام)
صحيح مسلم (بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي)
٤ / ١٧٧٤ رقم ٢٦٦٤ ، ٢٦٦٣ (كتاب الرؤيا ، الأحاديث من ٦ - ٨) .
سنن أبي داود ٤ / ٤١٦ (كتاب الأدب ، باب ما جاء في الرؤيا) .

سنن الترمذي (نشر الأستاذ عبد الرحمن محمد عثمان)
٣ / ٣٦٣ (كتاب أبواب الرؤيا ، باب أن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين ...) ، ٣ / ٣٦٦ (كتاب أبواب الرؤيا ، باب ما جاء في تعبير الرؤيا) وهذا الحديث عن أبي رهن العفيل رضى الله عنه . وجاء الحديث في المسند وفي سنن ابن ماجه .

^(١) في الأصل : ثلث من أخلاق المرسلين ، وبعد هذه العبارة يباين بتقدير عشر كلمات تقريباً ، ولم أجد هذا =

^(١) الحديث عن عائشة رضى الله عنها في عدة مواضع في صحيح البخارى .
انظر مثلا فتح الباري (ط . السلفية) ١ / ٢٢ حديث رقم ٣ (كتاب بدء الوحي ، الباب الثالث) ، ٨ / ٧١٥ حديث رقم ٤٩٥٣ (كتاب التفسير ، سورة اقرأ) .
وهو في صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أيضا (بشرح النووي) ٢ : ١٩٧ - ٢٠٥ (كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي) .
وفي المسند (ط . الحلبي) ٦ / ٢٢٣ ، ٢٢٢ - ٢٢٣ .

^(٢) في الأصل : بناء ، ولعل الصواب ما أثبتته .
^(٣) الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما في : سنن أبي داود (بتحقيق الشيخ محمد عمى الدين عبد الحميد) ٤ / ٣٤٣ (كتاب الأدب ، باب في الوقار) وأوله : إن الهدى الصالح ... إلخ وجاء الحديث في المسند (ط . المعارف) ٤ / ٢٤٤ - ٢٤٥ (رقم ٢٦٩٨ ، ٢٦٩٩) .

^(٤) الحديث عن عبادة بن الصامت وأبي هريرة وأبي

وهذا الحب والإحساس الذي خلقه الله في النفوس هو الأصل في كل حُسن وقبح ، وكل حميد وذم ، فإنه لولا الإحساس الذي يُعتد به في حب حبيب وبغض بغض لما وجدت حركة إرادية أصلاً تحرك شيئاً^(١١) من الحيوان باختياره ، / ولما كان أمر ونهى وثواب وعقاب ، فإن الثواب إنما هو بما تحبه النفوس وتتعم به ، والعقاب إنما هو بما تكره النفوس وتتعذب به ، وذلك إنما يكون بتعد الإحساس ، فالإحساس والحب والبغض هو أصل ما يوجد في الدنيا والآخرة من أمور الحى ، وبه حَسُنَ الأمر والنهى والوعد والوعيد . وذلك الأمر والنهى والوعد والوعيد هو تكميل للفطرة ، وكل منهما عون على الآخر ، فالشريعة تكميل للفطرة الطبيعية ، والفطرة الطبيعية مبدأ وعون على الإيمان بالشرع والعمل به ، والعبد من دان بالدين الذى يصلحه فيكون من أهل [العمل] الصالح^(١٢) في الآخرة ، والشقى من لم يتبع الدين ويعمل العمل الذى جاءت به الشريعة ، فهذا هذا ، والله أعلم .

انظر ضوابط الضوابط ص ١٤٤ الباب الرابع

الكبير ، عن أبي الدرداء) ،
 (١١) في الأصل : شيء . وهو خطأ .
 (١٢) في الأصل من أهل الصالح ، ولعل الصواب ما أثبت .

= الحديث ولكن وجدت حديثاً بمعناه ذكره السيوطى في الجامع الكبير ، ونصه : « ثلاث من أخلاق النبوة : تمجيل الإفطار ، وتأخير السحور ، ووضع اليمن على الشمال في الصلاة » . ثم قال السيوطى : (مطب = الطيزان في المعجم